

دور مكتبة أبلغ في الحفاظ على المخطوطات العربية في النيجر

The role of the Ablaglibrary in preservingArabicmanuscripts in Niger

جمال حريشة

طالب دكتوراه تاريخ المغرب العربي الحديث

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف

haricha2017@gmail.com

00213798509754

الملخص:

دخل الإسلام إلى الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل عن طريق شمال إفريقيا منذ فجر الدعوة الإسلامية وكان من الطبيعي بعد دخوله وانتشاره في شرق وشمال إفريقيا أن يدخل البلدان الواقعة وسط القارة وغربها وجنوبها. ونتج عن انتشار الإسلام واللغة العربية ميلاد ثقافة جديدة في السودان الأوسط وهو الموروث الثقافي الضخم الذي تركه علماءنا في شتى الميادين ومختلف المعارف البشرية وتمثلت في المخطوطات، وقد قامت هيئات عديدة للاهتمام بهذه المخطوطات والعمل على جمعها فتم إنشاء مكتبة أبلغ لهذا الصدد، وتعود المبادرة في إنشاء مكتبة المخطوطات بمدينة أبلغ إلى مجهودات خاصة قام بها الشيخ محمد إبراهيم بن عبد المؤمن. فقد جمع هذه المخطوطات من أماكن مختلفة . والمكتبة عبارة عن بناء شيد بجوار المسجد العتيق بأبلغ، وقد تم بناء المخزن الذي يأوي المخطوطات بدعم من «مشروع خاص بالمناطق الرعوية، ويقدر عدد مخطوطات في المكتبة بنحو 203 مخطوطات وتنوعت موضوعاتها ما بين علوم الدين والمنطق والتصوف والنحو والبلاغة والفلك والشعر وجميعها مكتوبة بالعربية. وفي هذه المداخلة سنتطرق الى التعريف بمكتبة ابلغ بالنيجر وتاريخ تأسيسها واهدافها، ثم نتعرض بدراسة احصائية لاهم ما تتضمنه المكتبة من ارشيف المخطوطات العربية والاسلامية في النيجر .

الكلمات المفتاحية: مكتبة ابلغ، النيجر ، السودان الاوسط، المخطوطات العربية.

Abstract :

Islam entered the Sahara and the Sahel through North Africa since the dawn of the Islamic call, and it was natural, after its entry and spread in East and North Africa, to enter the countries located in the center, west and south of the continent.

The spread of Islam and the Arabic language resulted in the birth of a new culture in central Sudan, which is the huge cultural heritage left by our scholars in various fields and various human knowledge and was represented in manuscripts. The Manuscript Library in the city reported to special efforts made by Sheikh Muhammad Ibrahim bin Abdul Momin. He collected these manuscripts from different places.

The library is a building that was built next to the ancient mosque of Abagh, and the storehouse that houses the manuscripts was built with the support of a "special project for pastoral areas."

In this intervention, we will discuss the definition of the library in Niger, its founding date and objectives, and then we will present a statistical study of the most important contents of the library from the archive of Arabic and Islamic manuscripts in Niger.

Keywords: Ablag Library, Niger, Central Sudan, Arabic manuscripts

مقدمة

دخل الإسلام الى الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل عن طريق شمال أفريقيا منذ فجر الدعوة الإسلامية وكان من الطبيعي بعد دخوله وانتشاره في شرق وشمال إفريقيا أن يدخل البلدان الواقعة وسط القارة وغربها وجنوبها. ونتج عن انتشار الإسلام واللغة العربية ميلاد ثقافة جديدة في السودان الأوسط وهو الموروث الثقافي الضخم الذي تركه علماءنا في شتى الميادين ومختلف المعارف البشرية.

يعتبر التراث الإسلامي في إفريقيا قديم قدم دخول الإسلام القارة، منذ فجر الإسلام الأول، وقد اصطحب الإسلام معه اللغة العربية فساعدته على فهم الدين والمقاصد الشرعية، وشدّ انتباه الأفارقة فاهتموا بتعلمها وتعليمها فبرعوا فيها، وحاكوا العرب في علومهم الدينية واللغوية والأدبية والاجتماعية وغيرها، فدوّنوها لتبقى ثمارها يانعة بعد موتهم، وأصبح هذا الموروث العلمي والثقافي والأدبي والروحي معروفا باسم التراث الإسلامي.

ومن اجل الحفاظ على هذا التراث والمتمثل بالدرجة الأولى في المخطوطات التي تؤرخ لفترات سابقة ولأحداث متنوعة ومختلفة، تم في النيجر انشاء مجموعة من مراكز حفظ المخطوطات عامة وخاصة، ومن بين المراكز الخاصة لحفظ المخطوطات في دولة النيجر مكتبة ابلغ وهي موضوع دراستنا، وعليه نطرح التساؤل التالي:

ما هو دور مكتبة ابلغ واهميتها في الحفاظ على مخطوطات النيجر المكتوبة بالعربية؟

المحور الأول: التعريف بمكتبة ابلغ في النيجر وأهدافها

نلاحظ في النيجر نوعين من مكتبات المخطوطة العربية، هما مكتبات خاصة (أسرية، للأفراد)، ومكتبات عامة (مركزية) تحت الحكومة النيجرية أو تحت رعاية مؤسسة علمية عالمية. فأما المكتبات الخاصة التي بحوزة الافراد أو الأسر فهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

تتصدر هذه المخطوطات عبر الشراء أو الإهداء أو الاستنساخ من النيجر و الدول المجاورة مثل شمال مالي و نيجيريا و بوركينا فاسو و موريتانيا و غيرها و فامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بتوسيع مخزن المخطوطات و تجهيزه و تتوزع المخطوطات في مختلف الاماكن العامة و الخاصة و منها مكتبة ابلغ في شمال النيجر بمنطقة طاوا حيث تعج بكثير من التراث المكتوب الذي يعد كنزا للنيجر عامة و الأمة الإسلامية خاصة.

1- التعريف بمكتبة أبلغ:

توجد بمدينة أبلغ الواقعة في شمال النيجر، في منطقة "طاوا" مكتبة تراثية أسرية، تحوي كثيرا من المخطوطات العربية، التي تبرز لنا العلاقات التي كانت قائمة في هذه المنطقة بين شعبها المسلم وبين الشعوب الإسلامية الأخرى من البلدان المجاورة مثل المغرب والجزائر وليبيا وتونس، وأبعاد هذه العلاقات المختلفة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصاديةⁱⁱ.

2- نشأته

تنسب المعلومات التي بحوزتنا عن نشأة هذا المركز إلى مجهودات فردية، من الشيخ محمد إبراهيم بن عبد المؤمن، الذي بذل الغالي والنفيس في سبيل جمع هذا الكنز من المخطوطات العربية من مختلف أصقاع البلاد وبخاصة في أزواج مثل: ((إبيغيوشادونكوادغول، وغرو، وتازيت، وتلياوت لمس، وتتفامنير ... وغيرها))ⁱⁱⁱ.

قام بإنشاء مكتبة المخطوطات بمدينة أبلغ إلى جهود الشيخ محمد إبراهيم بن عبد المؤمن. فقد جمع هذه المخطوطات من أماكن مختلفة في أزواج مثل إبيغيوشادونكوادغول و غرو و تازيت و تلياوت لمس و تتفامنير وغيرها

المكتبة عبارة عن بناء شيد بجوار المسجد العتيق بأبلغ في حي أمونكلو قد تم بناء المخزن الذي يأوي المخطوطات بدعم من مشروع خاص بالمناطق الرعوية و يقدر عدد المخطوطات في المكتبة نحو 302 مخطوط و تنوعت ما بين علوم الدين و المنطق و التصوف و النحو و البلاغة و الفلك و الشعر و جميعها مكتوب بالعربية.

ليس للمكتبة فهرس مطبوع و لا سجل و لا بطاقات و لا قائمة و هي محفوظة في قاعة شبه متسعة لا تتعرض لرطوبة أو حرارة عالية ظاهرة و هي موجودة في صناديق من حديد و قسم كبير منها بحاجة للصيانة و الترميم. و كثرة المخطوطات في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه المتوفي سنة 795 هجري دلالة على أن الشريعة الإسلامية هي الغالبة في مدينة أبلغ و سيادة الفقه المالكي في غرب إفريقيا عامة.

تبرز المخطوطات العلاقات القديمة القائمة بين شعوب المنطقة و الدول الإسلامية المجاورة مثل جمهورية نيجيريا الاتحادية و مالي و موريتانيا و الجزائر و الجماهيرية و بوركينا فاسو.

3. مفهوم المصطلحات (مركز - مخطوطة - التراث).

1.3. مفهوم المركز

المركز على وزن (مفعول)، وهو وزن يشترك فيه (المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان)، ويوضح المراد منه السياق الكلامي، ويراد به هنا اسم المكان، وعليه فالمركز يعنى به: المقرّ الثابت الذي تنتسب منه الفروع، كمركز الهاتف ونحوه^{iv}. ويقال: مركز الرجل، منزلته ومكانته الحسية والمعنوية، ومركز الدائرة، نقطة داخل الدائرة تتساوى المستقيمت الخارجة منها على المحيط. ومركزيّ: منسوب إلى المركز. الجهاز المركزي: الأساسي، منه تصدر كل التعليمات والإشارات. والسلطة المركزية: سلطة تحصر كل القرارات والأحكام بين يديها مع جعل كل السلطات تحت نفوذها^v.

2.3. مفهوم المخطوطة

المخطوط، على وزن (مفعول)، وهو المكتوب بخط اليد لا بالمطبعة، والجمع: مخطوطات^{vi}. والمخطوطة: اسم لما كُتب بخط اليد. وقسم المخطوطات: هو القسم الذي يحتوي على الكتب التي خطّها القدماء بأيديهم .^{vii}

3.3. مفهوم التراث

التراث على وزن (فُعَال) من الإرث، والإرث من أصل ورث ويجوز فيها إرث، والتاء فيها مبدلة من الواو كما في "تقوى" من أصل "وقوى"، فأصلها (وُراث)، وهذا النوع من الإبدال غير قياسي. والتراث: ما يخلفه الميت لورثته. والتراث ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل (التراث الإنساني والتراث الأدبي)^{viii}. وتراثية: مصدر صناعي من "تراث" كون الشيء حضارة عريقة وتقاليد موروثه.

وتراث أمة من الأمم، ما له قيمة باقية من عادات وآداب وعلوم وفنون، وينتقل من جيل إلى جيل.

وللتراث شقان: شق ماديّ وشق معنويّ: وقد ورد لفظه في القرآن الكريم بهاتين الدالّتين، أما في الدلالة المادية فقوله تعالى (:وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا^{ix}..) وأما في دلالتها المعنوية ففي قوله تعالى (:نُمُّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا. x.)

ومعنى هذا أنّ التراث يحمل في معناه موروثاتٍ ماديّةً وملموسةً نلتمسها في أسلوب الحياة وأدوات وأساليب الإنتاج وفي غيرها من الأشياء المحسوسة، وموروثاتٍ فكريّةً وجدانيّةً متجسدةً في القيم والعادات والتقاليد ...

فالتراث الإسلامي إذن، هو ذلك الموروث الثقافي الضخم الذي خلفه علماؤنا في شتى العلوم وميادين المعرفة الإسلامية المختلفة المادية منها والمعنوية.

المحور الثاني: اهم المخطوطات المتوفرة في مكتبة ابلغ بالنيجر

1-محتوى المكتبة:

هذه المكتبة الأسرية الخاصة للمخطوطات العربية في مدينة أبلغ، هي في مبنى مشيد بجوار المسجد العتيق بمدينة أبلغ، في حيّ (أمنوكل)، بدعم من مشروع خاص بالمناطق الرعوية.

ويقدر عدد مخطوطات المكتبة بنحو اثنين وثلاثمائة (302) مخطوطة، تنوعت ما بين علوم الدين والمنطق والتصوف والنحو والبلاغة وعلم الفلك والشعر، وهذه المخطوطات كلها باللغة العربية، ويلاحظ أن أغلب مخطوطاتها الفقهية على مذهب الإمام مالك بن أنس المتوفى سنة (795هـ). وهذا مؤشر على سيادة المذهب المالكي في هذه المنطقة.

وما زال وضع هذه المكتبة تقليديا، حيث إن مخطوطاته غير مفهرس بشكل من الأشكال (ليست مسجلة في سجل وليس لها بطاقات فضلا عن أن تكون مفهرسة بالترقيم الآلي). ومخطوطاتها محفوظة في صناديق كبيرة من حديد، في قاعة متوسطة لا شرقية ولا غربية؛ أي إنها غير معرّضة لرطوبة زائدة ولا لحرارة شديدة.

أسهمت جمعية الدّعوة الإسلامية العالمية بترابلس (ليبيا)، بتوسيع هذه المكتبة وتزويدها بمعدات تساعد في الحفاظ على سلامة مخطوطاتها، ومع هذا الجهد المبذول فإن كثيرا من مخطوطاتها بحاجة إلى اهتمام زائد بالصيانة والترميم.

2- أهداف مكتبة المخطوطات بالنيجر أبلغ

صنفت هذه الأهداف إلى عامة وخاصة؛ بناء على دورها في المجتمع علميا وأكاديميا أو ثقافية عامة، فالأهداف العامة هي التثقيفية العامة التي تشترك فيها المكتبات الخاصة والمركزية العامة أو شبه المركزية العامة، وأهداف خاصة ويختص بها المراكز الحكومية والمؤسسية العامة، وهي الأهداف العلمية والأكاديمية.

أ . الأهداف العامة^{xi}:

1. العناية بالتراث الإسلامي بأنواعه المختلفة والتنقيب عنه، لمعرفة أماكن وجوده في العالم، والتعريف به، وجمعه بشتى وسائله وجرده وتصنيفه وإحصائه وفهرسته، وتمكين الباحثين والدارسين من التوصل بمصوراتها.

- توعية الشعب بأهمية المخطوطات والحفاظ عليها، وبيان مكانتها عند الشعوب والأمم.
- توفير الخدمات المتعلقة بالمخطوطات للباحثين الذين يريدون الإسهام في هذا التراث بتحقيقه والعمل على نشره في آفاق أوسع.
- تشجيع البحث في هذا الكنز الثمين؛ وذلك بالعمل على تحقيق ودراسة نفائس المخطوطات ما أمكنه إلى ذلك سبيلاً، لنشرها وتوزيعها لتعم الفائدة.

ب . الأهداف الخاصة^{xii}:

1. بناء جيل جديد من المحققين وتزويدهم باليات المحقق القدير والباحث الناقد، ورعايتهم من الناحية العلمية والعملية؛ لاستعادة مجد أمتنا المسلمة المفقود.
2. توعية طلاب العلم والباحثين بأهمية هذا التراث، وذلك بإقامة ندوات علمية وحلقات دينية تهدف إلى تحفيزهم بمزيد من الاهتمام به، والعمل على الحفاظ عليه من التلف.

3. التواصل التكافلي والتكافلي مع المؤسسات ومراكز البحث من الهيئات الجهوية أو العالمية المعنية بالتراث الإسلامي؛ لعقد شراكات للتعاون لتبادل الخبرات وتحقيق الأهداف الخاصة والمشاركة بينها.

4. العمل على تكوين مكتبة رقمية لفهارس المخطوطات، تكون متاحة بيسر وسهولة لجميع المهتمين بهذا الكنز التراثي الثمين

المحور الثالث: دور مكتبة ابلغ في حفظ المخطوطات

تقوم المكتبات التراثية بالبحث والتنقيب عن المخطوطات التراثية وتعمل على صيانتها من التلف وحفظها من الضياع، وتوعية الشعب والباحثين والأكاديميين بأهمية هذا التراث الإسلامي والعمل على تحقيقه ونشره، ونأمل أن تضيف إلى دورها أنشطة أخرى مثل:

1. تنظيم دورات تدريبية في قضايا علوم المخطوطات، والتحقيق، ومناهج البحث، وتاريخ العلوم وغيرها من التخصصات.

2. تنظيم مؤتمرات دورية لمناقشة قضايا علم المخطوطات، وتبني تنفيذ التوصيات والقرارات التي تُتخذ في تلك المؤتمرات.

3. تنظيم ورش عمل وحلقات دراسية في علم المخطوطات وفن التحقيق.

4. ترجمة المؤلفات الأجنبية المهمة وذات الصلة بعلم الكوديكولوجيا.

5. توقيع اتفاقيات وشراكات مع المراكز البحثية والهيئات العلمية التي تُعنى بالتراث في مختلف البلدان.

6. عمل مشروع ببليوغرافي يضم بيانات الرسائل المسجلة في الدراسات العليا في جامعات العالم الإسلامي.

7. إصدار عمل ببليوغرافي متقن يشتمل على مكتبات المخطوطات المختلفة في النيجر ومحتوياتها، يكون مرشدا للباحثين والدارسين للتعرف على مظانها.

8. اقتناء المخطوطات الأصلية عن طريق الشراء أو الإهداء أو الوقف

9. اصلاح المخطوطات والعناية بها و ذلك بتجليدها و تصنيفها

10. تصوير جميع المخطوطات الأصلية المحفوظة في المكتبات الرسمية و الخاصة لحمايتها
11. تبادل صور المخطوطات بين الجهات العلمية المختلفة في الداخل و الخارج و توعية عامة الناس بالمخطوطات و الحفاظ عليها
12. تقييم مكتبات المخطوطات العامة و المجموعات الخاصة الموجودة في المنطقة
13. العناية الفائقة و الخاصة بالمخطوطات النادرة و الوحيدة الموجودة بالمكتبات الخاصة في داخل أبلع و خارجها
14. توفير الخدمات للباحثين الذين يقومون بتحقيق المخطوطات المهمة و الموجودة بالمكتبة
15. اقامة المواسم الثقافية

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية في رحاب التراث الإسلامي والعربي الإفريقي في النيجر، فقد عالج البحث مركز أبلع للمخطوطات العربية في النيجر، من خلال دراسة لنبذة تاريخية عن المخطوطات في النيجر وأنواع مراكز اقتنائها، مع التركيز على المراكز العامة أي الحكومية أو المؤسسية بالحديث عن محتواها ودورها العلمي، دون إغفال المكتبات الخاصة الموزعة على المناطق النيجرية المختلفة، ثم الحديث أخيرا على الأهداف المشتركة بين المراكز المخطوطات النيجرية العامة والخاصة .

هذا، وقد توصل البحث إلى بعض النتائج من أهمها:

1. أن للتراث الإسلامي الإفريقي حضورا على نطاق واسع جدا في النيجر، يشهد على ذلك أنه لا تكاد توجد منطقة نيجرية خالية من مكتبة خاصة . على الأقل . للتراث المخطوط باللغة العربية.
2. أن العلاقات القائمة بين مكونات هذه المنطقة قبل الاستعمار أسفر عنها الإسهام بجهود جبارة في اتساع هذا الكنز الثمين كما ونوعاً.

3. أن ثمة جهودا يبذلها الأفراد والمؤسسات والدولة للعناية بهذا الكنز؛ بالتقريب عنه وجمعه في أماكن مخصصة يسهل الوصول إليها، كما يعملون على تسهيل الاستفادة منها من قبل الباحثين والدارسين كل بحسب الإمكانيات المتاحة له.
4. أن هذا التراث الإسلامي أسهم في ترسيخ الوازع الديني، والتعلم والتعليم بين أبناء منطقة جنوب الصحراء.
5. أن المكتبات الخاصة للتراث الإسلامي الإفريقي في النيجر غير محصورة العدد، ويتفاوت عددها من باحث لآخر.
6. مكتبة أبلغ عبارة عن بناء شيد بجوار المسجد العتيق بأبلغ، وقد تم بناء المخزن الذي يأوي المخطوطات بدعم من «مشروع خاص بالمناطق الرعوية، ويقدر عدد مخطوطات في المكتبة بنحو 203 مخطوطات وتنوعت موضوعاتها ما بين علوم الدين والمنطق والتصوف والنحو والبلاغة والفلك والشعر وجميعها مكتوبة بالعربية.
7. تعود المبادرة في إنشاء مكتبة المخطوطات بمدينة أبلغ إلى مجهودات خاصة قام بها الشيخ محمد إبراهيم بن عبد المؤمن. فقد جمع هذه المخطوطات من أماكن مختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- 1. بشير عثمان أحمد، فهرس المخطوطات العربية المودعة بقسم المخطوطات بمكتبة الجامعة الإسلامية بالنيجر، (حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد:1، 1994م)،
- 2. د. علي يعقوب، خزائن المخطوطات في غرب أفريقيا الواقع والمأمول (مركز الجامعة الإسلامية بالنيجر للمخطوطات نموذجاً) ، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الأول: حول المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا بجامعة أدرار، الجزائر من 3. 4 ديسمبر 2013م.
- 3. سالو حسن، المخطوطات العربية في إفريقيا نموذجاً، الوعي الإسلامي، مجلة كوتية تصدر عن وزارة الأوقاف.
- 4. سالو حسن، المخطوطات العربية في غرب إفريقيا وحمايتها القانونية، 2011/09/13م، مجلة الثقافة الجزائرية.

5. عبد المجيد حنكوكو، الحرف القرآني المنمط في منطقة غرب إفريقيا جنوب الصحراء، دراسة بيليوغرافية في المخطوطات والوثائق التاريخية واقع المركز الإفريقي لإحياء التراث الإسلامي بالنيجر، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، في جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، المغرب، عام 2017/2018م.
6. مولاي حسن، فهرس المخطوطات الموجودة بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية، النيجر (المقدمة)،.

سألو حسن، المخطوطات العربية في إفريقيا نموذجاً، الوعي الإسلامي، مجلة كوتية تصدر عن وزارة الأوقاف.

ⁱⁱ المخطوطات العربية في غرب إفريقيا وحمايتها القانونية، سألو حسن، 2011/09/13م، مجلة الثقافة الجزائرية 1990، <http://thakafamag.com/?p=1990>.

ⁱⁱⁱ فهرس المخطوطات الموجودة بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية، النيجر (المقدمة)، مولاي حسن.

^v المعجم الوسيط، مادة (ر ك ز).

^v معجم الغني (مركز) والمعجم الوسيط (مركز).

^{vi} المعجم الوسيط، مادة (ر ك ز).

^{vii} معجم الغني، مادة (خ ط ط).

^{viii} معجم الرائد، مادة (ورث).

^x الفجر: 19.

^x فاطر، من الآية: 32.

^{xi} خزائن المخطوطات في غرب أفريقيا الواقع والمأمول، د. علي يعقوب، ص: 4 وما بعدها

^{xii} الحرف القرآني المنمط، عبد المجيد حنكوكو، ص: 302 وما بعدها.